علاقة الموحدين السياسية

بمملكة قشتالة الإسبانية

ريه أحمد عبد الظاهر محمد

باحثة بقسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة أسوان

DOI: 10.21608/qarts.2021.91735.1206

مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي - العدد ٥٤ (الجزء الأول) يناير ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

<https://qarts.journals.ekb.eg>

موقع المجلة الإلكتروني:

علاقة الموحدين السياسية بمملكة قشتالة الإسبانية

إعداد

ريه أحمد عبد الظاهر محمد

باحثة بقسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة أسوان

fgmutg@gmail.com

الملخص باللغة العربية:

نجحت دولة الموحدين في فرض سيطرتها على بلاد المغرب والأندلس ومن ثم فقد خلفوا دولة المرابطين في الدفاع عن بلاد الأندلس ضد الممالك الإسبانية التي تزعمتها مملكة قشتالة، فقد تمكن الموحدون من هزيمة الفونسو الثامن ملك قشتالة وحلفاءه ملكي نبرة وليون في معركة الأرك ٥٩١هـ/١١٩٥م التي كان لها دور كبير في رفع الروح المعنوية لدى المسلمين، ولكنهم لم يحاولوا الاستفادة من ذلك النصر بل أكتفوا ب عقد الصلح لمدة عشر سنوات، تمكن الفونسو الثامن من خلالها من جمع قواته وأخذ يهاجم المدن الأندلسية، وعندئذ استجد أهل الأندلس بالخليفة الموحي محمد الناصر الذي حشد قواته وعبر بها إلى الأندلس وألتقى مع ملك قشتالة في معركة العقاب ٦٠٩هـ/١٢١٢م انتهت بهزيمة جيش الموحدين وملاحقة القشتاليين لهم، وتمكن ملك قشتالة من الاستيلاء على المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الموحدين، قشتالة، الأندلس.

المقدمة:

عندما تمكن الفتح الإسلامي من التوغل في شبه الجزيرة الأيبيرية أخذت فلول النصرارى تتجه إلى المناطق الشمالية من الجزيرة تنتظر الفرصة للتجمع في كيان واحد، والتي أتيحت لها من خلال الفونسو السادس ^(١) الذى تمكن من خلال ذلك الكيان من توسيع مناطق سيطرته حتى شملت المناطق الشمالية الغربية من الأندلس، ولذلك يعتبر الفونسو السادس المؤسس الحقيقي لنواة الممالك الإسبانية في الشمال، وتابع خلفاؤه توسعاتهم في الأندلس وفي الوقت الذى ظهرت فيه دولة الموحدين وعملت على فرض سيطرتها على معظم بلاد الأندلس كانت تلك الممالك تسعى إلى الاستقلال والبحث عن مصالحها الخاصة وكانت أهمها مملكة قشتالة (Castilla) ^(٢).

١- علاقة الموحدين بقشتالة في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي (٥٤٠-٥٤٠)

(٥٥٨هـ/١١٣٣-١١٦٣م)

نشأت مملكة قشتالة في شمال الأندلس وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد قواعدها وهي قشتالة ، فقد كانت في بدايتها عبارة عن مجموعة من الحصون والقلاع تتولى الحماية من هجمات المسلمين ^(٣)، ثم أخذت تتوسع على حساب الأراضي الأندلسية وأراضي الممالك المسيحية المجاورة لها وذلك عندما أستولى الفونسو السادس على طليطلة واتخذها عاصمة لمملكة قشتالة ^(٤)، ولكن تمكن المرابطين من استعادتها مرة أخرى عام ٥٠١هـ/١١٠٨م، ولكن عندما أخذت دولة المرابطين في الانهيار والاضمحلال وأعلنت بعض المدن الأندلسية الثورة على المرابطين، كانت الممالك النصرانية تتربق الفرصة السانحة للاستيلاء على تلك المناطق، فقامت بغارات متتالية على المدن والحصون الإسلامية، وذلك من أجل تدميرها، كما سعى الفونسو السابع (Alfonso VI) ^(٥) ملك قشتالة ورامون برنجير الرابع ^(٦) ملك أرجون في ٥٤٦هـ/

١١٥١ م لعقد اتفاقية في تطيلة^(٧) والتي كانت تقتضي باتفاقهم على استعادة الأراضي الأندلسية، كما أنهم جددوا تقسيم نافار، وخصصت مناطق كل من بلنسية ومرسية^(٨) لملك أرجون، الذي تعهد بأن يحكم هذه المناطق باعتبارها تابعة لمملكة قشتالة، وعملت أرجون وقشتالة على تكثيف جهودهما ضد الجبهة الإسلامية في الأندلس^(٩)، والتعاون على دفع حركة الاسترداد المسيحي^(١٠)، وفي هذه الأثناء أرسلت بعض المدن الأندلسية الوفود إلى المغرب وأعلنت بيعتها لعبد المؤمن بن علي، واستغاثت به لوقف الزحف النصراني على بلادهم، وصادف ذلك رغبة عبد المؤمن في ضم بلاد الأندلس، فأرسل جيشا إلى بلاد الأندلس وأخذوا يستولوا على المدن تلو الأخرى، وتابع الجيش ومعه الأسطول سيره إلى إشبيلية واستولى عليها، وصارت منذ ذلك الوقت قاعدة لحكم الموحدين بالأندلس^(١١)، ويدل ذلك الزحف السريع للموحدين في بلاد الأندلس على تعاون الأمراء والولاة بها مع الموحدين ورغبتهم في القضاء على الثورات والخطر النصراني الذي كان يهددهم.

واصل الموحدون توسعهم في الأندلس وأخذوا يتقدموا شرقا حتى بدأوا يهددوا أملاك الفونسو السابع، حيث أرسل الخليفة عبد المؤمن أمر إلى ابنه السيد أبو سعيد عثمان وإلى الجزيرة ومالقة وقرطبة بمحاصرة المرية^(١٢) برّا وبحرا واستردادها، فتقدم أبو سعيد إلى المرية لمحاصرتها ونصب المجانيق على قصبتها بعد أن تمكنوا من دخول المدينة، فاستغاث نصارى المرية بملك قشتالة، فأسرع الفونسو السابع لنجدتهم على رأس جيش ضخم، وسانده ابن مردنيش بقوة أخرى، وعندما علم السيد أبو سعيد بذلك طلب العون من الخليفة عبد المؤمن، فأمدّه بقوة أخرى يرأسها الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وإلى إشبيلية، وعندما رأى ابن مردنيش ذلك المدد الموحي اضطر للفرار، وانسحب الفونسو بقواته، فشدد الموحدون حصارهم على القسبة، واستولوا عليها سنة ١١٥٧/٥٥٢م، وبذلك تمكن الموحدون من استرداد المرية^(١٣)، وعاد الفونسو

السابع إلى بلاده حسرًا بعد أن فشل في نجدة نصارى المرية، وتوفى أثناء عودته في شوال ٥٥٢هـ/أغسطس ١١٥٧م، وكان قد أوصى قبل وفاته بتقسيم مملكته بين ولديه سانشو (Sancho) وفرناندو (Fernando)، بأن يعتلى الابن الأكبر سانشو عرش قشتالة، وابنه الأصغر فرناندو عرش ليون، ونتج عن ذلك التقسيم فصل قشتالة عن ليون، والاستماتة من أجل فكرة اعتلاء عرش إسبانية^(١٤).

أتجه الموحدون بعد ذلك لاسترداد قلعة رباح^(١٥) بعد أن أستولى عليها الفونسو السابع منتهزًا فرصة ضعف المرابطين واضطراب أحوالهم بالأندلس، ووضع بها حامية تتولى الدفاع عنها، عرفت بفرسان الداوية^(١٦)، وعندما قام الموحدون بغزو قلعة رباح لم تتمكن حاميتها من الدفاع عنها ضد الموحدين وقاموا بتسليمها لسانشو الثالث ليتولى حمايتها الذى تولى من جانبه البحث في المخلصين النبلاء ليعهد له بحماية القلعة، فوجد الراهب ريموند رئيس دير فيترو في نافار وعهد إليه بها ، فقام بتقديم الدعم الروحي والعظات ووعد لكل المتطوعين والمدافعين وسار بالمتطوعين الذين تجمعوا حوله للدفاع عن القلعة ، وتمكن من صد هجمات الموحدين عن القلعة ، وكان يؤيده في ذلك البابا إسكندر الثالث ومطران طليطلة يوحنا^(١٧).

رأى الخليفة عبد المؤمن من الضرورة إنشاء منطقة عسكرية في الأندلس لتكون مقرًا للجيش الموحدى ومنطلق لغزو بلاد النصارى، ولذلك أمر الخليفة عبد المؤمن ولده أبا سعيد عثمان ببناء مدينة على جبل طارق أطلق عليها فيما بعد مدينة الفتح في سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م^(١٨) فتم بناؤها على يد الحاج يعيش المهندس^(١٩).

وفي سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م عزم عبد المؤمن على غزو النصارى بشمال إسبانيا برًا وبحرًا لرد عدوانها على الأندلس^(٢٠) فأمر بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل ممالكه، وعندما أعد قواته سار الخليفة عبد المؤمن من مراكش إلى رباط الفتح بسلا، واجتمع بأشياخ الموحدين والعرب والقبائل الأخرى ممن تعودوا الغزوات فقال لهم "أشيروا

علينا كيف ستكون هذه الغزوة إلى بلاد الروم فقد عزمنا عليها برًا وبحرًا، وصرحنا بها إعلانًا وجهًا" ^(٢١)، فأشار عليه القائد الأندلسي محمد سيدراى بن وزير بأن تقسم العساكر إلى أربعة جهات مختلفة من إسبانيا: القسم الأول: يتجه إلى مدينة قلمرية ^(٢٢).

القسم الثاني: يتجه إلى ليون ^(٢٣).

القسم الثالث : يتجه إلى طليطلة عاصمة قشتالة.

القسم الرابع : يتجه إلى برشلونه ^(٢٤).

وقد أيده جميع الشيوخ هذا الرأي وبايعوا الخليفة على ذلك ^(٢٥)، ولكن هذه الغزوة لم تتم حيث ابتدأ بعبد المؤمن المرض وتمادى به ألمه واشتد فتوفى في ليلة الجمعة ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨هـ/١٥ مايو ١١٦٣م وحمل إلى تينمل فدفن بها إلى جنب قبر الإمام المهدي ^(٢٦) ، وكان قبل وفاته قد خلع ابنه محمد عن الخلافة بعد ما ظهر له عجزه عنها، وعهد إلى ابنه يوسف بالحكم ^(٢٧).

٢- موقف الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م):

تولى أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الحكم في ظروف صعبة، حيث رفض البعض بيعته فدب الخلاف والانقسام بين أسرة عبد المؤمن، وكان أبو يعقوب يدعى بالأمير، ولم يدعى بالخليفة إلا في ٥٦٣هـ/١١٨٤م فاضطر أبو يعقوب لتسريح الجيش الذى أعده والده عبد المؤمن لغزو إسبانيا وتم تأجيل الغزوة ^(٢٨)، في هذه الأثناء دارت حرب أهلية بين قشتالة وليون بعد وفاة سانشو ملك قشتالة الذى لم يترك وليا للعهد سوى ابنه الذى لم يتعد عامين، فدار الخلاف بين أسرة كاسترو وأسرة لارا ^(٢٩) على العرش، وتدخل فرناندو الثاني ليتولى حكم الوصاية على ابن أخيه ولكنه فشل في ذلك، ودارت

حرب أهليه انتهت سنة ٥٦١هـ / ١١٦٦م بتولي الملك الصبي الفونسو الثامن (Alfonso) VIII الحكم ولقب بالفونسو النبيل^(٣٠) ، وحينئذ لجأ فرناندو ملك ليون إلى التحالف مع الموحيدين وطلب المساعدة منهم ضد قشتالة وأن يكون عوناً لهم بعسكره على أعدائهم، فقدم إلى مراكش وأقام بها خمسة أشهر ثم انصرف^(٣١).

واصل النصارى هجماتهم ضد المسلمين ففي سنة ٥٦٥هـ / ١١٧٠م سار أذفونش الصغير^(٣٢) بقواته من طليطلة وأغار على فحص رنده^(٣٣) وجبالها، وفحص الجزيرة الخضراء^(٣٤) وجبالها ووصل إلى البحر وقتل من كان بها من المسلمين وأسره^(٣٥)، وردَّ على هذه الغزوة ببعث أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف أخاه السيد أبا حفص على رأس جيش يتكون من عشرين ألفاً من الموحيدين والمطوعة إلى الأندلس، فعبر الجزيرة وعمد إلى طليطلة وعقد الصلح مع أذفونش^(٣٦).

عمل القشتاليون على ترتيب صفوفهم وأخذوا يشنوا غاراتهم على بلاد المسلمين فغنم وأسر الكثير منهم^(٣٧) ولذلك أمر الخليفة بالتأهب لمحاربة القشتاليين فبعث جيش بقيادة أخيه السيد أبي زكريا يحيى والسيد أبي يعقوب يوسف بن عبدالله بن تيجيت وأبي محمد عبدالله بن أبي إسحاق، فسار الموحدون يتبعون النصارى وكان القشتاليون قد توقفوا في سهل متسع يعرف بفحص كركوك على مقربة من قلعة رياح، واشتبك الموحدون معهم في معركة حامية انتهت بتمزيق صفوف القشتاليين وكثرة القتل فيهم^(٣٨) غزى الخليفة أبو يعقوب يوسف وولده السيد أبو بكر في بلاد النصارى حتى وصل إلى طليطلة^(٣٩) وخرج إليه سانشوا المعروف (بأبي بردعة)^(٤٠) ، ودار بينهما قتال عظيم قتل فيه أبو بردعة وجيشه، وكان عدد القتلى في هذه الغزوة حوالي ٣٦ ألفاً، وأدرك ملك قشتالة أن الغزو الموحيدي على بلاده قد يزداد فأرسل سفراءه إلى الخليفة بإشبيلية يطلبون الصلح والمهادنة وانتهت المفاوضات بعقد الصلح في أواخر سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٣م^(٤١)

، مكث الخليفة في إشبيلية مدة خمس سنوات أهتم من خلالها بالبناء والتعمير، وأمر ببناء حصن القلعة لتأمينها وحمايتها ثم غادر إشبيلية وعبر البحر إلى مراكش ^(٤٢) فانتهر القشتاليون ذلك وسارعوا إلى استئناف الغزو ونقض الهدنة، فخرج الفونسو الثامن ملك قشتالة في عام ٥٧٢هـ / ١١٧٧م لغزو الأراضي الإسلامية، واتجه إلى مدينة قونقة ^(٤٣) وحاصرها فاستغاث أهلها بأمير المؤمنين فأرسل إليهم جيشاً بقيادة ولديه السيد أبي على والى إشبيلية والسيد أبي الحسن والى قرطبة، وتحرك الجيش لغزو طليطلة وطلبيرة ^(٤٤) ، وذلك من أجل الضغط على القشتاليين وإرغامهم على فك الحصار لقونقة ولكنهما فشلا في ذلك، ثم حاول الموحدون إرسال الإمدادات إلى قونقة ولكن تصدى لها ملك أرجون الذى قدم لمساعدة الفونسو الثامن في حصاره، وبعد حصار دام تسعة أشهر اضطرت المدينة إلى التسليم ودخلها ملك قشتالة بمساعدة ملك أرجون وحول مسجدها الجامع إلى أسقفه ووصل إليها المستوطنين الجدد بشكل مفصل ، وترتب على سقوط قونقة امتداد حدود مملكة قشتالة ناحية شرقي الأندلس، وتوسيع حدود ملك أرجون وغزو بلاد الأندلس ^(٤٥) طبقاً لمعاهدة كاسولا ^(٤٦).

خرج الفونسو الثامن للاستيلاء على قرطبة ونزل في ظاهرها ولكنه فشل في الاستيلاء عليها، ثم قاموا بغزو مالقة وغرناطة، كما استولى على حصن شننقيلة ^(٤٧) حاول الموحدون استرداد الحصن ولكن دون جدوى، كما سارع محمد بن يوسف بن وانودين على رأس قوة من الموحدين من إشبيلية واتجه إلى طلبيرة فدار بين الموحدين وأهل المدينة القشتاليين معركة هُزم فيها القشتاليين، واستولى الموحدون على غنائمهم وعادوا إلى إشبيلية، وفي عام ٥٨٠هـ لقي الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن حتفه في ساحة المعركة على أبواب مدينة شنترين ^(٤٨) وبويع لابنه أبي إسحاق يعقوب المنصور ^(٤٩).

٣- علاقة الموحدين بقشتالة في عهد الخليفة المنصور (٥٨٠هـ-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٩م)

اتسمت بداية عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور بالهدوء حيث التزمت القوى الموحدية سياسة الدفاع فقط لصد الهجمات والقيام ببعض الغارات^(٥٠) حيث كان المنصور خلال الخمس سنوات الأولى من عهده مشغولاً بقتال ابن غانية في إفريقيا، أما ملك قشتالة كان مشغولاً مع مملكتي ليون والبرتغال ففي عام ٥٨١هـ/١١٨٥م توفي ملك البرتغال الفونسو هنريكز (Alfonso Enriquez) وخلفه ابنه سانشو الأول (Sancho I) ثم توفي بعده صديقه فرناندو الثاني بثلاث سنوات وترك ابنه الفونسو التاسع، وكان في السابعة عشر من عمره، وبموت هذين الملكين أصبح ملك قشتالة أعظم الملوك النصاري، وحاول أن يفرض سيطرته على جيرانه مملكتي ليون والبرتغال، ولكن دفعهم ذلك إلى توحيد جهودهم ضد مملكة قشتالة في الوقت الذي كان الموحدون يشكلون خطراً يهدد كل إسبانيا النصرانية^(٥١) وقامت مملكة قشتالة بشن غارات على الأندلس، ففي عام ٥٨٥هـ/١١٩٠م قامت بثلاث غزوات متتالية كانت الأولى والثانية بقيادة مطران قائد فرسان قلعة رباح، أما الغزوة الثالثة فكانت بقيادة ملك قشتالة نفسه، وقد بلغ النصاري في غزواتهم أحواز قرطبة وإشبيلية واستولوا على بعض الحصون واغتموا الكثير وسبوا وقتلوا الكثير^(٥٢) وعندما بلغ المنصور ذلك جاز بجيوشه إلى الأندلس وسار شمالاً إلى مدينة قرطبة، وعندما علم الفونسو ملك قشتالة بذلك سارع بطلب الصلح وأرسل سفراءه إلى قرطبة فاستجاب الخليفة وعقد الصلح مع ملك قشتالة لمدة خمس سنوات عاد إلى مراكش^(٥٣).

لم يلبث الخليفة بأن عاد إلى مراكش حتى قام ملك قشتالة بغارات على بلاد الأندلس ونقض الصلح، ودمر النصاري في تلك الغزوات كل شيء بالنار والسيوف فانتهت

القتال والكروم وخربت الضياع والقرى وسيقت الماشية وسبى المسلمون رجالاً ونساء^(٥٤) ، وبينما هو على ذلك كان يبعث سفيره يوسف بن الفخار اليهودي إلى مراكش لتثبيت المهادنة حرصاً منه على عدم إثارة المسلمين للغزو^(٥٥).

٤- معركة الأرك (Alarcos)^(٥٦):

عندما اشتد عبث ملك قشتالة أرسل ولادة الأندلس إلى الخليفة يستغيثون به وكان الخليفة في ذلك الوقت ينوي محاربة ابن غانية في إفريقية فلما بلغه ذلك صرف نظره عن غزو ابن غانية وأمر بالسير للحرب في الأندلس^(٥٧) وهناك رواية تذكر أن الفونسو ملك قشتالة كتب إلى أمير المؤمنين يستدعيه لقتاله فتأثر الخليفة لذلك وكتب على ظهر الكتاب (أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صُغُرُونَ) (٥٨) ثم كتب "الجواب ما ترى لا ما تسمع" وأمر الموحدين بالجهاد، وخرج من مراكش يوم الخميس الموافق الثامن عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٥٩١ هـ / ١٢٩٥م^(٥٩) عندما علم ملك قشتالة بعبور المنصور بجيشه حشد قواته وسارع إلى حصن الأرك^(٦٠) وعسكر به وأخذ ينتظر مساعدة ملك ليون له وإرسال قواته لمساعدته في قتاله ضد الموحدين ، ونظرًا لما تميز به المنصور من نظرته الثاقبة للأمور ورأيه السديد فقد حرص على الأخذ برأي الأندلسيين لخبرتهم بالحرب ضد النصارى ، فأسند الأمر لأهله، وأخذ برأي القائد عبدالله بن صناديد الذي كان يرى أن لابد أن يختار الخليفة قائدًا عامًا للجيش، فاختار الخليفة كبير وزرائه أبي يحيى بن أبي حفص، وأن يقسم الجيش إلى قسمين الأول يشمل جميع الحشود من العرب والبربر والأندلس تحت قيادة القائد العام ، والثاني يتكون من جنود الموحدين والحشم بقيادة الخليفة المنصور، وأن يبقى المنصور يوم المعركة مع العبيد والحشم متأخرًا عن الجيش على مسافة تبعد عن العدو، ويقدم الشيخ أبا يحيى بن أبي حفص على رأس الجيش الزاحف في هيئة

السلطان يلقي الأعداء وهم يحسبونه المنصور، فإن كانت الغلبة للمسلمين فهو المطلوب وإن كانت عليهم كان المنصور ردةً لهم وعوناً ثم يستأنف القتال مع الأعداء بعدما ضعفت قواهم^(٦١)، وبالفعل اندفع الفرسان النصارى نحو المسلمين واقتحموا صفوفهم حتي تمكنوا من الوصول إلى قلب الجيش يظنونه المنصور فاستشهد الوزير أبو يحيى بن عبدالله بن أبي حفص واستشهد معه عدد من المسلمين^(٦٢).

لما رأى الموحدون ذلك أحاطوا بالفرسان القشتاليين فقصوا عليهم وأهلكوهم فسار بعض العرب إلى الخليفة وأخبروه بذلك فتقدم الخليفة بقواته مصحوباً بالطبول ورفع الرايات، فلما رأى ملك قشتالة ذلك رجع بقواته إلى حصن الكرك ولحقه المسلمون وحاصروا الحصن معتقدين أن ملك قشتالة بداخلة ولكنه فر من الباب الآخر للحصن، واقتحم المسلمون الحصن عنوة وأشعلوا النار في أبوابه^(٦٣) ويحدثنا ابن عذارى عن فرار ملك قشتالة فيقول " وأقلت أذفنش اللعين تحت حد السنان واجتاز على طليطلة لا يعرج على مكان فينحو عشرين فارساً، وقد أتخذوا الليل جملاً وإن رأوا غير ذلك ظنوه رجلاً"^(٦٤) كما ذكره المقرئ قائلاً " نجا الفنش ملك النصارى إلى طليطلة في أسوء حال فحلق رأسه ولحيته ونكس صليبة، وألا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرساً ولا دابةً حتى يأخذ بالثأر "^(٦٥).

نجح الموحدون في الاستيلاء على حصن الأرك وكل ما فيه من أموال وأسلحة وذخائر ودواب وأسروا حوالي عشرين ألفاً من الفرسان الذين كانوا بالقلعة فمّن عليهم الخليفة فحررهم بدون تبادل أو فديه وكان كرم منه غير معتاد من قبل^(٦٦)، ولكن حسبت عليه تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك^(٦٧)، وسار الخليفة المنصور بقواته يستولي على القلاع والحصون القريبة من المعركة ثم هاجموا قلعة رباح واستولوا عليها بعد قتال عنيف مع فرسان جماعة القلعة المتوليين الدفاع عنها منذ أن استولوا عليها قرابة نصف قرن، وأمر المنصور بتطهير جامعها الذي كان قد حول إلى كنيسة، وأسند أمر حمايتها

للقائد يوسف بن قاسم^(٦٨) ، وذكر المراكشي أنه تم الاستيلاء على قلعة رباح دون قتال " خرج أمير المؤمنين بنفسه حتى أتى قلعة رباح ، وقد انجلى عنها أهلها فدخلها وأمر بكنيستها فغيرت مسجدًا فصلى فيها المسلمون^(٦٩) أمر الخليفة المنصور بإذاعة نبأ النصر من منابر المساجد في جميع مملكته الشاسعة وخصص خمس الغنائم بعد أن وزع باقيها على الجند لبناء مسجد ضخم في إشبيلية اشتهرت منارته بارتفاعها البالغ وبناء حصن كبير في مراكش لتخليد ذكرى الموقعة^(٧٠).

اتجه المنصور بعد ذلك إلى طلمنكة^(٧١) فأقتحمها عنوة وقتل جنودها وأحرق المدينة وهدم حصونها، وقام المنصور بحملات تخريبية للأراض النصرانية، فدمر مرافقها ودك حصون كل قلعة وأسوار كل مدينة، ولذلك دب الفزع والرعب في الممالك النصرانية الأخرى لما رأوا من انتصارات الموحدين واندفاعهم في بلادهم^(٧٢)، واصل المنصور السير حتى وصل إلى مقربة من ضفاف دويره الذي لم يقترب من ضفافه منذ مدة طويلة أي جيش إسلامي، ولكنه اضطر إلى الانسحاب بسبب نقص المؤن وتقشي المرض ، وأثناء عودتهم أخذ الموحدون يعيشون فسادا في الأراضي النصرانية، ويقول أشياخ في ذلك " كأنهم كانوا يشعرون أن هذه آخر حملة إسلامية تهيأ لاحتلال طليطلة وتجاوز جبال وادي الرملة " ^(٧٣).

ويمكن أن نستنتج أن المنصور نجح بذلك في أن يوجه ضربات للقوى النصرانية التي كانت تهدد الوجود الإسلامي في الأندلس بعد أن تمكنوا من إنزال الهزيمة الساحقة على نصارى الإيبان التي كانت أشبه ما يكون بموقعة الزلاقة ، سارعت الممالك النصرانية لعقد المحالفات مع المنصور فسارعت نافار لتقديم الولاء والقسم بالطاعة للموحدين كما سعت ليون لعقد مفاوضات سرية مع الموحدين^(٧٤)، فاستجاب أبو يوسف المنصور لطلب الصلح لكل من نافار وليون وعقد معهم حلفاً ، واضطر ملك

قشتالة إلى مقاومة هذه الأحلاف فعقد في سنة ٥٩٢هـ / ١١٩٦م هدنة مع الموحدين لكي يستطيع التغلب على أعدائه ، ورحب المنصور بعقد هذه الهدنة بسبب ثورات جديدة قامت في إفريقية كانت تستدعي عودته إلى مراكش ^(٧٥) فولى المنصور ابنه أبي زيد إشبيلية كما عهد للسيد أبي الربيع بن أبي حفص مدينة بطليوس، ووزع الغنائم على الجند ثم عبر البحر إلى مراكش في شعبان سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٨م ولم يمض وقت طويل حتى مرض المنصور وتوفي بقصره في مراكش، وكان عمره أربعين عاما وكانت مدة حكمه ١٥ عاما ^(٧٦).

٥- علاقة الموحدين بقشتالة في عهد الخليفة الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٩-١٢١٣م)

تمت البيعة لأبي عبد الله محمد الناصر لدين الله في نفس اليوم الذي توفي فيه والده ^(٧٧) وفي الوقت نفسه كان مشغولا بمحاربة ابن غانية في إفريقية والجزائر الشرقية ^(٧٨) بينما لزم ملك قشتالة الفونسو النبيل السكينة حيناً منذ موقعة الأرك ، ولبث بضعة أعوام يتهيب الاشتباك مع القوات الموحدية في شبه الجزيرة، بالإضافة إلى التزامه بالهدنة التي عقدها مع الموحدين ، وعندما انتهت مدة الصلح بين قشتالة والموحدين أرسل ملك قشتالة في سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م وزيره الخاص إبراهيم بن الفخار اليهودي إلى مراكش لتجديد الصلح والهدنة، فقد أراد ملك قشتالة أن يصرف الموحدين عن غزو بلاده حتى يتفرغ لتسوية منازعاته مع باقي ممالك إسبانيا النصرانية ^(٧٩) وبالفعل تمكن الفونسو الثامن بعد سنوات من النزاع من توقيع الهدنة مع مملكة نبرة (نافار) في سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٧م ، كما وقعت أرجون ونافار على صلح وهدنة مماثلة فيما بينهما في العام التالي ، وجددت ليون وقشتالة علاقة الصداقة والسلام فيما بينهما في عام ٦٠٥هـ / ١٢٠٩م، وهكذا تم الاتفاق بين الممالك النصرانية وأخذ البابا أنوسنت الثالث يدعو القساوسة

والأساقفة لحملة صليبية ضد الموحدين ، فقام رئيس أسقف طليطلة رودريجو بأعمال عدائية وإرهابية في بلاد الأندلس^(٨٠) كما انتهب الفونسو الثامن فرصة انتهاء مدة الهدنة مع الموحدين بالإضافة إلى غياب الموحدين في بلاد الأندلس وأراد أن ينتقم لهزيمة الأرك ورفع الوصمة التي لحقت به بعد أن ضمن تأييد كل من مملكتي نبره وليون له وإمداده بالجند، فقام بحملات إرهابية في بلاد الأندلس، فخرّب الأراضي وسفك الدماء واستولى على الغنائم والأسرى، وبلغ في غزوته هذه أراضي جيان وأندوجر وبياسة وأحواز مرسية^(٨١).

٦- موقعة العقاب (Tolosa):

عندما وصلت أخبار ما قام به الفونسو الثامن من أعمال تخريبية في بلاد الأندلس إلى الناصر بمراكش غضب لذلك وأعلن الجهاد وكتب إلى جميع بلاد إفريقية والمغرب وبلاد القبلية يستنفر المسلمين لغزو إسبانيا النصرانية فأجابه عدد كثير، وتقدمت له الجيوش من سائر الأقطار^(٨٢) ويذكر أنه اجتمع له ستمائة ألف مقاتل وأجاز الناصر البحر إلى الأندلس من المغرب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م ومعه من الجنود ما لا يحصى^(٨٣) ووصل بجيشه إلى إشبيلية وخرج منها وسار جنوب الوادي متجها إلى قرطبة وسار منها إلى جيان^(٨٤) وبياسه^(٨٥) وسار حتى وصل إلى حصن سربطرة^(٨٦) ونصب عليه أربعين منجنيقا^(٨٧) ولما رأى ملك قشتالة ذلك أستغاث بالنصارى وأرسل إلى البابا لينظم حملة صليبية ضد المسلمين فاخذ البابا يحث ملوك النصارى ويقنعهم بذلك ويهدد بعقوبة الحرمان والطرّد لكل من يهاجم ويتعدى على أراضي غيره من بلاد إسبانيا^(٨٨)، فوفدت على إسبانيا جموع المحاربين من جميع البلدان الأوروبية دفاعا عن النصرانية ، واجتمع جيش يبلغ حوالي سبعين ألف مقاتلاً، فكانت القوات البرتغالية بقيادة بدرو والقوات

الليونية بقيادة سانشو فرنانديز أخي ملك ليون ، وأمر البابا أنوسنت الثالث بالصوم ثلاثة أيام التماسا لانتصار الجيوش النصرانية ^(٨٩).

سار ملك قشتالة الفونسو الثامن بقواته نحو قلعة رباح ليثأر لما قام به المسلمون فيحصن سربطرة ، فقام بمحاصرة القلعة ودافع قائدها أبو الحجاج بن قادس ومعه سبعين فارس من المسلمين عن القلعة وعندما طال الحصار أرسل إلى الناصر يستنجد به فلم يجبه الناصر فاضطر إلى تسليم القلعة وسار إلى الناصر ليوضح له حقيقة ذلك، ولكن الناصر أمر بقتله بتحريض من وزيره سعيد بن جامع ^(٩٠) غضب الخليفة الناصر لسقوط قلعة رباح فضيق الحصار على سلبطرة حتى فتحها صلحاً، وعندما علم الفونسو بذلك سار إليه والتقى الجمعان بموقع عرف بالعقاب ^(٩١) وبدأت المعركة حيث قام الجنود القشتاليون بالهجوم على قلب الجيش الإسلامي وحطموا كل مقاومة من قبل الجيش الموحي، وأرسلت الإمدادات للجيش القشتالي، وعندما رأى الأندلسيون ذلك لانوا بالفرار، وذلك بسبب حقدهم على سعيد بن جامع لقتله لابن قادس فألحقوا الهزيمة بالموحدين، مما ترتب عليه اضطراب عظيم في الجيش الموحي، وهزم المسلمون هزيمة فادحة وأضطر الناصر إلى مغادرة الميدان وسار إلى إشبيلية ^(٩٢) بعد أن تكبد الموحدون خسائر فادحة إثر هذه الهزيمة ، فلم ينج من الجيش الموحي إلا الواحد من الألف، ونادى مناد الفنش لا أسار إلا القتل ، أي من وجد أحد من المسلمين يقتل ولا يأسر ومن أتى بأسير قتل هو وأسيره .

٧-الأوضاع بعد موقعة العقاب وبداية الضعف الموحي (٦١٠-٦٤٠هـ/١٢١٣-١٢٤٢م)

عبر الخليفة الناصر البحر إلى مراكش وأخذ البيعة لولده السيد أبي يعقوب يوسف الملقب بالمنتصر فبايعه كافة الموحدون وخطب له في جميع المنابر في ذي الحجة سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م وأحتجب الناصر بعد ذلك في قصره إلى أن توفي يوم الثلاثاء

١٠ شعبان ٦١٠هـ/ ١٢١٣م^(٩٣) ولم يمض وقت طويل حتى توفي الفونسو الثامن واضطربت أحوال قشتالة ، فعرضت قشتالة الصلح ورحب المستنصر بالهدنة لوقف هجماتهم على بلاد الأندلس والعمل على إصلاحها، وعندما انتهت المدة تم تجديدها^(٩٥) توفي الخليفة المستنصر سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٢م وبويع لأبى محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد الملك عم الناصر في اليوم التالي^(٩٤) ولم يمض شهران على بيعته في المغرب والأندلس حتى ثار عليه ابن أخيه العادل فنازعه الخلافة وبايعه أهل المغرب والأندلس وخلع عبد الواحد بن يوسف وقتل بعد ذلك، وكانت دولته ثلاثة أعوام وثمانية أشهر وتسعة أيام^(٩٥).

أخذت الأحداث في بلاد الأندلس تتطور بسرعة فقد أعلن السيد أبو محمد عبد الله بن محمد صاحب جيان خلعه لطاعة ابن عمه العادل ودعا لنفسه وتلقب بالظافر^(٩٦)، وأرسل لملك قشتالة يطلب مساعدته وزامن ذلك تواجده في برشلونه، وطلب من عشيرته من الكنيسة الوعد بالمساعدة في الحرب ضد المسلمين ومساعدته بالمزيد من الأموال والعدد^(٩٧).

وسار البياسى ومعه الجيش القشتالي إلى إشبيلية وحاصرها، فخرج إليه أبو العلاء بجيش من الموحدين واشتبك الفريقان في معركة انتصر فيها الموحدون وكتب أبو العلاء لأخيه العادل يخبره بذلك ويخبره برجوع طلياطة^(٩٨) وعندما اشتدت وطأة القشتاليين على الأراضي الأندلسية فسعى لعقد هدنة معهم لمدة عام واحد، كما قام بخلع طاعة أخيه الخليفة العادل ونادى بنفسه خليفة ملقبا بالمأمون، فبايعه أشياخ الموحدين وولاة الأندلس^(٩٩)، ثم قام رجال الموحدين بالأندلس ودخلوا على العادل قصره وقبضوا عليه وقتلوه، ولكنهم ندموا علي ذلك فنكتوا ببيعه وبايعوا ابن عمه أبا زكريا يحيى بن الناصر^(١٠٠)، عندما علم المأمون بذلك وكان قد وصل إلى الجزيرة الخضراء، أرسل

إلى ملك قشتالة يستتجد به لإرسال جيشًا ليتمكنه من محاربة يحيى بن الناصر ومن معه من الموحدين فوافق ملك قشتالة على ذلك مقابل أن يسلم المأمون لملك قشتالة عشرة من الحصون التي تلي بلاده، وأن يبني بمراكش كنيسة للجند النصارى الذين معه ^(١٠١) فوافق المأمون على شروطه، وعبر المأمون الجزيرة الخضراء ومعه القوات القشتالية، وكان أول من أدخل الروم إلى المغرب واستخدمهم بها، وهزم يحيى بن الناصر ودخل مراكش وبايعه الموحدون في عام ٦٢٦هـ، وأمر بمحو اسم المهدي من السكة ولعنه على المنابر ^(١٠٢) واتسمت تلك الفترة في عهد الموحدين بالضعف، وانتهز القشتاليون ذلك وقاموا بالزحف على الأراضي الأندلسية واستولوا عليها الواحدة تلو الأخرى إلى أن سقطت قرطبة ^(١٠٣).

ومن خلال البحث حول علاقة الموحدين السياسية بقشتالة توصلت إلى عدة نتائج منها:

- ورث الموحدون عن دولة المرابطين مهمة الدفاع لمنع توغل الممالك المسيحية في الأراضي الأندلسية والتي تمثلت في إنشاء القلاع والحصون وحشدها بالقوات .
- بالرغم من حسم معركة الأرك لصالح المسلمين إلا أنها لم تضع حداً نهائياً للصراع الدائر في الأندلس بين الموحدين والقشتاليين ، فلم يمض وقتاً طويلاً حتى سارع إلى حشد قواته، والتقى بالموحدين في موقعة العقاب التي انتهت بهزيمة الموحدين.
- تعد موقعة العقاب بداية لنهاية الوجود الإسلامي في الجزيرة الأيبيرية ، حيث قام القشتاليون بالزحف على الأراضي الأندلسية الواحدة تلو الأخرى إلى أن سقطت قرطبة .

الهوامش:

(١) هو أقوى ملك نصراني صليبي حكم عرش ليون وقشتالة سنة (٤٦٦هـ / ١٠٧٢م) تولى الحكم بعد وفاة أخيه سانشو ، نجح في الاستيلاء على مدينة طليطلة ؛ (يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبدالله عنان ، ج١، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ٢٦، ٢٧، ٤٩).

(٢) قتيبة على إبراهيم سمور : العلاقات الحربية بين الموحدين والممالك الإسبانية في شمال الأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الأردن ، ١٩٩٦م، ص ٧٧-٨٠.

(٣) ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج١، ص ١٣٥-١٣٦.

(٤) الحموي : معجم البلدان ، ج٤، ص ٣٥٢.

(٥) عرف بالسليطن، وهو تصغير لكلمة السلطان ، وهو ابن الكونت ريموند البرجوني حكم قشتالة وليون تحت إشراف أمه أوراكة. وكانت فترة حكمه (٥٢٠هـ-٥٥٢هـ / ١١٢٦-١١٥٧م)؛ خليل إبراهيم السامرائي : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٥).

(٦) هو ملك برشلونة وصهر الراهب راميرو ورث حكم أراجون بعد أن تنازل له الراهب عن العرش، ولقب بكونت برشلونة وأمير أراجون (٥٢٥هـ-٥٥٧م / ١١٣١-١١٦٢م)؛ خليل إبراهيم السامرائي : المرجع السابق ، ص ٢٦٠).

(٧) مدينة بالأندلس تقع في الشرق من مدينة سرقسطة ، واشتهرت بجودة تربتها وطيب ثمارها وأنفرد أهلها بأنهم لا يغلقوا أبوابها ليلا ولا نهارا ؛ (الحميري : الروض المعطار ، ص ١٣٣).

(٨) مرسية: بضم أوله ، والسكون ، وكسر السين المهملة ، وياء مفتوحة ، مدينة بالأندلس بناها عبد الرحمن ابن عبد الحكم بن هشام ، وبها كان منزل ابن مردنيش وعمرت في زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس (ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٠٧).

(٩) Joseph.F.O, Callagban; A History of medieval spain, london, 1983, pp. 32

(١٠) حركة الاسترداد (La Reconquista) هي حروب شنتها البابوية والممالك النصرانية لإخراج مسلمي الأندلس من شبه الجزيرة الإيبيرية مستغلين ضعفهم وانقسامهم، والتي ظهرت جليا منذ مطلع القرن الخامس، وانتهت بسقوط غرناطة؛ (انظر: ليفيروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، ص ٧٠-١٦٠؛ خالد حموم : حركة الاسترداد المسيحي للأندلس عصر المرابطين والموحدين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر ، ٢٠١٦م، ص ٣١.

(١١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩، ص ٣٤٣.

(١٢) المرية : هي مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس تعد بابا للشرق وتحل فيها مراكب التجار ، وعندما أنهارت دولة المرابطين أعلن أهل المرية استقلالهم بإمارتهم وكونوا فيها إماره بحرية مستقلة، وصاروا يغيرون منها بأساطيلهم على شواطئ إسبانيا المسيحية وفرنسا وإيطاليا ، ولذلك تكالبت أساطيل برشلونة وجنوا وبيزا وقشتالة وقطونيا ونافار ، وقامت بمحاصرة المرية من البر والبحر لمدة ثلاثة أشهر ، ثم أحتلوها عنوة سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م وسيطر عليها الفونسو السابع ملك قشتالة لمدة عشر سنوات ، ثم تمكن الموحدين من استردادها سنة ٥٥٢هـ؛ (ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٥ ، ص ١١٩، أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٣٠).

(١٣) الناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ؛ علي محمد الصلابي : دولة الموحدين ، ص ١١٥

(١٤) J.F.Ocallaban : A history of medieval spain, pp 235.

(١٥) قلعة رباح : تقع بين قرطبة وطليلة، وهي مدينة حسنة لها حصن حصين على نهر آبه ، بنيت في عهد بني أمية، وفي سنة ٢٤١هـ أمر الإمام محمد بالزيادة في مبانيها ، ونقل الناس إليها ، وملكها الناصري ٥١ سنة حتى وقية الأرك فدخلها المنصور وأمر بتطهير جامعها وصلى فيه، وقدم على قيادتها يوسف بن قادمس؛ (ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣).

(١٦) هم مجموعة من الرهبان اشتهرت بشجاعتها في قتالها للمسلمين، وعرفوا أيضا بفرسان المعبد ، وتأسست هذه الفرقة عام ١١١٩ م ؛(ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ، تحقيق د جمال الدين الشيال ، ص ٧٥)

(١٧) J.F. OCallaban : A History of medieval spain , pp 238.

(١٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص ٨٤.

(١٩) هو ألمع وأشهر المهندسين الذين تألق نجمهم على عهد الموحدين حيث كانوا يلجأون إليه في المشاريع الهامة، فقد بإنشاء الكثير منها مقصورة المسجد الجامع بمراكش في عهد عبد المؤمن ، وخزان المياه باشبيلية ؛ ابن صاحب الصلاة : المصدر نفسه ، ص ٨٤.

(٢٠) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١٤٧ ابنعبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح دار القلم بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٤٥٨.

(٢١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١٥٣-١٥٤.

(٢٢) مدينة على جبل مستدير وعليها سور حصن، ولها ثلاثة أبواب ، وبها جنات كثيرة وكروم ولها حروث كثيرة من الغرب منها لناحية البحر، ولها أغنام ومواشي وأهلها أهل شوكة في الروم : الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٥٤٧.

(٢٣) قاعدة من قواعد قشتالة ، وهي عامرة بالمعاملات التجارية والمكاسب ؛ الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٧٤).

(٢٤) مدينة تقع في القسم الثالث من بلاد الأندلس ولها سور كبير، وتقع على البحر، ويسكنها الروم ، وهي دار ملكهم ، وبها يكثر الحنطة والحبوب والعسل ؛(الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٦-٨٧).

(٢٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص ١٥٣-١٥٤ ؛ المراكشي : الحلل الموشية ، ص ١٥٧.

(٢٦) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣١٩ ؛ الناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٤٤.

(٢٧) ابن الأثير : الكامل ، ج٩ ، ص ٤٦١ ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٣٢ ؛ ابن خلدون : المصدر نفسه ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص ١٥٤ .

(٢٨) ابن خلدون : المصدر نفسه ، ص ٣٢٠ ؛ الناصري : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٢٩) هما إحدى الأسر القوية والثرية بقشتالة وتعتبر من الأمراء ، وساهمت كلتاهما في تشييد مملكة قشتالة ، وظفرت بأعظم المناصب والألقاب ، وكان ملوك قشتالة يعتبرونهما عضد العرش ودعامته ، ولكن بعد وفاة سانشو الثالث دارت بينهما حرب أهلية على العرش ؛ (يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس فيعهد المرابطين والموحدين ، ج٢ ، ص ١٩) .

(٣٠) F.OCallageban : a history of medival spain ,pp 235-236

(٣١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٣٢) هو حفيد الفونسو السابع (السلطين) ؛ (ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣١٠) .

(٣٣) مدينة بالأندلس بها آثار قديمة كثير تقع على نهر ينسب إليها ؛ (الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٩) .

(٣٤) مدينة بالأندلس تقع على ربوة عالية مشرفة على البحر وبها سور متصل به ، وبشرقيها خندق وغربيها أشجار ، وهي أقرب مدن الأندلس مجازا للعدوة ؛ (الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٣) .

(٣٥) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص ٣٢١ ؛ ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

(٣٦) ابن خلدون : نفسه ، ج٦ ، ص ٣٢١ ؛ ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢٩١ ؛ الناصري : الاستقصاء ، ج٢ ، ص ١٤٩ .

(٣٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ . ؛ عنان : دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

(٣٨) ابن صاحب الصلاة : المن بالأمة : ص ٤٣٠ . ٤٣٢ . ؛ عنان : دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٨٨-٨٩ .

J.F.O Callage : AHistory of medieval spain , PP239 (٣٩)

(٤٠) سمي أبي بردعة لأنه كان يركب على بردعة من الحرير مسرجة بالذهب مكللة بالجواهر ؛ (بن أبي زرع : روض القرطاس، ص ١٣٩).

(٤١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص ٤٣٦-٤٣٧ ؛ عنان : دولة الإسلام ، ج ٢ ، ص ٩٠.

(٤٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٣٢٣ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٣٠.

(٤٣) مدينة ببلاد الأندلس ، من أعمال شنترين ؛ (ياقوت الحموي : ج ٤، ص ٤١٥).

(٤٤) مدينة كبرية بالأندلس من أعمال طليطلة ، تقع علي نهر باجة وتعتبر حاجزا بين المسلمين والنصارى ، وبابا من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين ، وهي مبنية علي جبل عظيم، وبها قلعة من أرفع القلاع حصنا، بينها وبين طليطلة سبعون ميلا وتقع على ضفة نهر تاجة ؛ (الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ٢، ص ٥٥١؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٥ .

؛ ياقوت الحموي : نفس المصدر ، ج ٤، ص ٣٧).

(٤٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٣٧-١٣٨ ؛ عنان : دولة الأندلس : ج ٢ ، ص ٩٨.٩٦

J.F.Ocallage : AHistory OF MEDIVAL spain , pp 239-240

(٤٦) حيث وقعت معاهدة بين ملك قشتالة وملك أراجون عرفت بكاسولا في شوال ٥٧٤هـ/ مارس ١١٧٩م، والتي نصت على تقسيم بلاد المسلمين والاعتراف بحق أراجون في الاستيلاء على بلنسه ونبرة وتؤل لورثته من بعده ، أما ملك قشتالة الفونسو الثامن فمن حقه الاستيلاء على الأراضي الواقعة وراء هذه البلاد ، كما نصت المعاهدة على التعاون بين الملكين ضد أعدائهم

J.F.Ocallage : ahistory of medieval spain , pp 240:

(٤٧) يعد من أمنع حصون المنطقة الواقعة بين إشبيلية وقرطبة يقع فوق ربوة عالية، وله أسوار منيعة فاستولى عليه القشتاليون سنة (٥٧٨هـ / ١١٨٢ م) وأسروا من كان به من المسلمين وأهتّم الفونسو بالحصن ووضع به حامية كبيرة للدفاع عنه، ويروى أنه قال عندما أستولى على هذا الحصن " الآن آخذ قرطبة وإشبيلية؛ (ابن خلدون : العبر، ص ٣٢٤، عنان : المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٤٨) ابن خلدون : العبر ، ج ٦، ص ٣٢٤ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٤٩ .

(٤٩) مدينة كبيرة في الأندلس في إقليم باجة ، تقع علي جبل عال، وهي قريبة من بطليوس بنهما أربعة مراحل؛ (الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٤٦).

(٥٠) الناصري : الاستقصاء ، ج ٢، ص ١٥٨؛ صالح الأشر : معركة الأرك ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٩٨م، ص.

(٥١) هدي عبد المحسن سعود : دور الموحدين الحربي في الأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية ، ١٩٩٢م ، ص ١١٥ .

(٥٢) J.F.OCallage : Ahistory of medevil spsin, pp242.

(٥٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ ؛ هشام أبو رملة: علاقات الموحدين ، ص ٢٥٧ .

(٥٤) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤، ص ٢١٢ ؛ عنان : دولة الأندلس ، ج ٢، ص ١٧٦ .

(٥٥) المراكشي : المعجب ، ص ٢٠٦ ؛ يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس ، ج ٢، ص ٨١ .

(٥٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢١٢ ؛ يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٥٧) هو حصن منيع بالقرب من حصن رباح وأول بلاد الأذفونش ؛ (الحميري : الروض المعطار، ص ٢٧).

(٥٨) محمد عبدالله عنان : دولة الأندلس ، ص ١٩٧ .

(٥٩) النمل : ٣٧

(٦٠) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٤٥-١٤٦ ؛ الناصري : الإستقصاء ، ج٢ ، ص ١٨٧ .

(٦١) هو حصن منيع شيد علي وادي يانه بالقرب من المدينة الجديدة سيوداد بمقربة من قلعة رباح أول حصون أذفونش بالأندل ؛ (الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٧) .

(٦٢) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٧ ؛ المراكشي : المعجب ، ص ١٩٢ ؛ الناصري : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٨٩ . ؛ يوسف أشياخ : تاريخ الأندلس ، ج٢ ، ص ٨٢ ؛ صالح الأشر : معركة الأرك ، ص ٥٧-٥٨ .

(٦٣) المراكش : المعجب ، ص ٢٠٧ ؛ الناصري : الإستقصا ، ج٢ ، ص ١٩٠ .

(٦٤) بن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٥٠ ؛ الناصري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠ - ١٩١ ؛ صالح الأشر : معركة الأرك ، ص ٦٩٠٧٣ .

(٦٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ .

(٦٦) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٣ .

(٦٧) S.P.SCOTT: history of the Moorish empire in Europe , p.311

(٦٨) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٥٧ ..

(٦٩) بن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١١٥ ؛ الناصري : الاستقصاء ، ج٢ ، ص ١٩٢ ..

(٧٠) المراكشي : المعجب ، ص ٢٠٦ .

(٧١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٥١ .

(٧٢) مدينة كبيرة بالأندلس من أحواز طليطلة وبينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلا ، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٣ .

(٧٣) S.P.SCOTT:history of Moorish , PP 312

(٧٤) أشياخ : تاريخ الأندلس ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

(٧٥) S.P.SCOTT: PP 312 , J.F.OCallage : aistory of medeval spain, pp 244

(٧٦) ابن عذاري : البيان المغرب، ج ٤ ، ص ٢٢٧ . الناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٩٣ . أشياخ : تاريخ الأندلس ، ج ٢ ، ص ٩٠ ؛ علي الصلابي : دولة الموحدين ، ص ١٨٢ .

(٧٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٥٨ ؛ أشياخ : المصدر نفسه .

(٧٨) ابن عذاري: المصدر السابق ، ص ٢٣٦ ؛ المراكشي : المعجب ، ص ٢٢٦ . الناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٢١٤ ؛ عنان : دولة الأندلس ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٧٩) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٣٧-٢٣٩ .

(٨٠) هشام أبو رملة : علاقة الموحدين ، ص ٢٧٥ .

(٨١) J.F.Ocallage :Ahistory of medival spain ,pp 245

(٨٢) محمد عبدالله عنان : دولة الأندلس ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ ؛ راغب السرجاني : قصة الأندلس من الفتح الي السقوط ، ص ٦٠٧ .

(٨٣) الناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٨٤) المقري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .

(٨٥) مدينة بالأندلس تقع على جبل عال ، وهي في غاية الحصانة ، بينها وبين بياسة ستون ميلا ؛(الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، ص ٧٠) .

(^{٨٦}) مدينة تقع على النهر الكبير المنحدر من قرطبة ، وهي ذات أسوار وأسواق ومتاجر ؛(الحميري : المصدر نفسه ، ص ٥٧).

(^{٨٧}) ويقال أيضا شلبطرة وهو حصن منيع من حصون الأندلس من عمل قلعة رياح، وهو من بلاد الأذفونش بالأندلس ؛(الحميري : الروض المعطار، ص ٣٤٤).

(^{٨٨}) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ١٥٧-١٥٨؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ج ٤، ص ٢٦٢؛(الحميري: المصدر نفسه، ص ٣٤٤).

(^{٨٩}) J.F.OCallage :Ahistory of medieval spain , pp246.

(^{٩٠}) scott:history of Moorish , pp 325

(^{٩١}) ابن خلدون : العبر ، ج ٦، ص ؛ ابن عذاري : البيان المغرب : ج ٤، ص ٢٦٣. بن أبي زرع : روض القرطاس : ص ١٥٧-١٥٨؛ أشباخ : تاريخ الأندلس ، ج ٢ ، ص ١١٨.

(^{٩٢}) العقاب بكسر العين، هو موضع بالأندلس يقع بين جيان وقلعة رباح ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٤١٦.

(^{٩٣}) المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٥-٢٣٦ ؛ الناصري ؛ الإستقصاء ، ج ٢، ص ٢٢٣.

(^{٩٤}) ابن خلدون : العبر ، ج ٦، ص ٢٢٧؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤، ص ٢٦٤؛ الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ١٩ الناصري : الاستقصاء ، ج ٢، ص ٢٢٥.

(^{٩٥}) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤، ص ٢٦٦-٢٦٨؛ أشباخ : تاريخ الأندلس ، ج ٢، ص ١٣٩-١٤٦.

(^{٩٦}) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٨٠؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٢٦٨.

(^{٩٧}) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٨؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ج ٤، ص ٢٧٠؛ ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٢٣.

(٩٨) الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ٢١؛ عنان : دولة الإسلام ، ع ٣، ق ٢، ص ٣٥٢.

(٩٩) هبه إبراهيم محمد إبراهيم : تاريخ الأندلس السياسي من نهايات دولة الموحدين حتى قيام مملكة بني الأحمر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنوفية ، كلية الآداب ، قسم تاريخ ، ٢٠٠٩م، ص ٦٣.

(١٠٠) مدينة بالأندلس بينها وبين إشبيلية عشرين ميلا؛(الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٨؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ج ٤، ص ٢٧١).

(١٠١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٠٨؛ إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٢٨٨.

(١٠٢) ابن أبي زرع : روض القرطاس، ص ١٨٠ ابن القطان: نظم الجمان، ص ٢٤؛ الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص ٢٢ .

(١٠٣) على محمد الصلابي : دولة الموحدين ، ص ٢٢٦.

(١٠٤) الناصري : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .؛ إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١، ص ٢٩٠ .

(١٠٥) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ص ١٧٥.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير: (أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م).
- الكامل في التاريخ، مج ٩، مج ١٠، تحقيق أبي الفدا عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الحميري: (أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم، ت ٨٦٦هـ/١٤٦١م).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م.
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن جابر بن إبراهيم، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي خليل شحادة وراجعه سهيل زكار، ج ٤، ج ٦ وإدار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- ابن صاحب الصلاة : (عبدالملك محمد بن أحمد بن إبراهيم).
- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي النازي، بيروت، دار الأندلس للطباعة، ١٩٦٤م.

- ابن عذاري: (أبو عبدالله محمد المراكشي، كان حيا في عام ٧١٢هـ/١٣١٢م)
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين، ج٤ ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد تاونت وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- المراكشي : (أبي محمد عبدالواحد بن علي المراكشي ، ت ٦٤٧هـ/١٢٥٠م).
- المعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب ، شرحه صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.
- الناصري : (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م).
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية ، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، ج٢، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ياقوت الحموي : (شهاب الدين أبي عبدالله الرومي البغدادي ، ت ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)
- معجم البلدان، مج ١،٢،٣،٤،٥، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- ابن أبي زرع: (أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي، ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م).
- الأنيس المضطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧١م.
- مجهول : (المؤلف مجهول عاش في القرن ٦هـ/١٢م).

- الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ، ١٩٨٥م.

• المقري: (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ، ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م).

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،مج ١،٢،٣،٥، تحقيق إحسان عباس ،دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

• الزركشي : (أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الزركشي).

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط٣، ١٩٦٦م.

ثانيًا : المراجع

• إبراهيم حركات:

-المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

• خليل الدين السامرائي:

- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ليبيا ، ٢٠٠٠م.

• صالح الأشتري:

- معركة الأرك، دار الشروق العربي، بيروت، ١٩٩٨م.

• محمد عبدالله عنان: (دكتور)

- دولة الإسلام في الأندلس، ٣ع، ١ق، ٢ق، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١١٤١هـ، ١٩٩٠م.

• هشام رميلة: (دكتور)

- علاقات الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية بالأندلس ،دار الفرقان، نابلس ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

• ورن هلستر: أوربا في العصور الوسطى، ترجمة دكتور محمد فتحى الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨م.

• يوسف أشياخ:

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

- هبه إبراهيم محمد إبراهيم : تاريخ الأندلس السياسي من نهايات دولة الموحدين حتى قيام مملكة بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم تاريخ، كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠٠٩م.

- هدى عبد المحسن سعود: دور الموحدين الحربي في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- O'callaghan.F.J: A history of Medieval Spain, copyright, 1975, Cornell University, Ithaca, Newyork.

- Scott.S.P:A history of the Moorish in Europe V.II,III Philadelphia,London1904.

Al Mohads Political Relationship with the Spanish Kingdom of Castille

Raya Ahmed Abdulzaher Mohamed

A Researcher at the Department of History

Faculty of Arts, Aswan University

Abstract

The Almohads successfully gained control of Maghreb and Andalusia and succeeded the Al mohads in defending from the Anduls against the Spanish kingdoms led by the kingdom of castille, The Almohads defeated Alfonso VIII of Castile and his Allies Navarre and Leone of at the battle of Alarcos (591 AH - 1195 AD) , which had a great role in boosting the morale of the Muslims ,but they did not try to take advantage of that victory ,but they were reasserted after peace for ten years ,Alfonso VIII was able to gather and attack the cities of Andalusia mobilized the Caliph Muhammad Al-Nasir, who crossed his forces to Andalusia and met the king of Castille at the battle of Tolosa (609AH-1212 AD), which ended with the defeat of the Almohads and their capture by the Castilians one by one.

Keyword: Al Mohads, Castille, Al Andalus.